الدبابة بدلا من تدميرها ـ اذا امكن ذلك ـ .. ى يمكن الاستفادة منها في مواجهة قوات الغزو من ناحية وحتى يمكن استخدامها ، من ناحية اخرى ، في التصدي للعدو الاسرائيلي .

ضربة جديدة موجعة لقوات الغزو

ونعود الى جبل لبنان ، حيث كان حشد الغزو يشكل رتلا طويلا يمتد ما بين ضهر البيدر والمديرج قدر عدده بـ ١٠٠ دبابة و٣٠ ناقلة جنود مصفحة و١٠٠٠٠ جندي ، اضافة الى ٥٠ دبابة ، و٤٥ الية وشاحنة في موقع صوفر المتقدم . وكان يدعم هذا اللواء المدرع كتيبتان من المشاة المحمولة . وقال شهود العيان في المنطقة انهم شاهدوا اليات اميركية الصنع تابعة للجيش الاردني .

في الطرف المقابل كانت القوات الوطنية، اللبنانية والفلسطينية ، تشكل « غابة من المسلحين المدججين بالار. بي. جي. المضادة للدروع » ، وحولها اهالي المنطقة الذين يشدون ازر القوات ويوفرون لهم التموين والدعم . ومن عاليه الى بحمدون كانت الطرقات والجسور التي يمكن ان تعبرها الدبابات مزروعة بالالغام. وبدا واضحا ان المقاتلين الوطنيين اختاروا رويسات صوفر مكانا للقاء القوات الغازية . وكان واضحا ايضا ان الطبيعة الجبلية للمنطقة تعزز امكانيات المقاومة ، وانها تعكس نفسها على اسلوب القتال .

اندلع القتال مع طلعات طائرات سلاح الجو السوري التي قامت بقصف المواقع الوطنية تمهيدا للتقدم . وقد استمر قصف الطيران طوال ثلاثة ايام ، في حين كانت القوات البرية الغازية تستخدم راجمات الكاتيوشا والغراد الثقيلة ، تحمل كل منها ٤٠ مقذوفا صاروخيا (يزن كل صاروخ منها ٧٦ كيلوغراما ومداه ٢٠ كيلومترا وساحته التأثيرية ٤٠٠ متر (وهذا الى جانب قابل الفوسفورية ومدفعية ١٣٠ ملم التي تعتبر اثقل انواع المدفعية التي تمتلكها سوريا . اما الجانب الاخر كانت قوات الانعزاليين اللبنانيين تقصف المنطقة والطرق الرئيسية فيها بالمدفعية ، في حين قامت مجموعات منها بمحاولات ـ فاشلة طبعا ـ للتسلل الى عاليه . وكان هدف التحرك الانعزالي ضرب مؤخرة القوى الوطنية التي تتصدى للغزو .

وتقدمت طليعة القوات المهاجمة الى صوفر « وتسللت » ٦ من دباباتها الى بحمدون حيث دمرت الواحدة بعد الاخرى . واعقب هذه الهزيمة « البكرة » اندفاع الجسم الرئيسي للهجوم الى منطقة رويسات صوفر حيث فقدت قدرتها على التحرك نهائيا ، والتحم معها المقاتلون وعلى غرار ما حدث في صيدا كانت الضربة الموجعة حافزا لقادة قوة الغزو للتراجع بعيدا عن القوات الوطنية . وحين امر العملاء في دمشق قواتهم بمعاودة الهجوم « رفض قائد الدبابات السورية على محور المديرج التقدم بدباباته نتيجة احتراق واسر عدد من الدبابات مع أطقمها الا بعد تقدم المشاة أمام الدبابات . ولقد رفضت مجموعات المشاة بدورها التقدم أمام الدبابات في المحور نفسه » .

وفي اليوم التالي دفعت القيادة العميلة دبابات جديدة وذخائر وقوات مشاة وصواريخ اضافية للواء المدرع المتواجد في المنطقة . وبفضل هذه التعزيزات استؤنف الهجوم على صوفر ، لكن النتيجة لم تتغير . فقد عجزت الاليات عن اختراق السد الناري الذي أقامه الوطنيون ، واضطرت للانسحاب بعد أن تحولت بضع دبابات جديدة الى أكوام من نيران وحديد صدىء . وبعد احباط هذا الهجوم الثاني تحول القتال الى هجمات صغيرة كانت تسفر في كل مرة عن تدمير اليات جديدة ، وعن تعزيز معنويات قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

ويلفت النظر في معارك هذا المحور ان الوطنيين استفادوا من طبيعة المنطقة الجبلية ليقوموا باغارات على مواقع الدبابات المتخندقة أو على الدبابات المارة على الطرقات في المنطقة المحتلة ـ بين المديرج وضهر البيدر خصوصا ـ . وقد نجم عن هذه الاغارات تدمير اليات اخرى .

سقوط الطابور الخامس

ربما كان انهيار قوات ـ الصاعقة ـ في بيروت والجنوب والشمال أحد العوامل التي لعبت دورا ما في تحديد موعد بدء هجمات الدبابات على محوري صيدا وصوفر . وقد شكل انهاء وجود هذا « الطابور الخامس » ـ الذي يضم أيضا جماعة « اتحاد قوى الشعب العامل » ـ والذي رعاه النظام السوري عبر السنوات بالاموال والذخائر والاسلحة والدعم المعنوي ، الجزء الناتىء من سقوط ما يسمى ـ جبهة القوى الوطنية والقومية ـ ومعها تلك الشخصيات التقليدية أو المشبوهة التي ساندت حافظ الاسد من داخل الصف الوطني : رشيد كرامي ، وموسى الصدر بالاخص .

ولم تعرف الجماهير الشعبية التردد ، ولم تنتظر الاوامر للانقضاض على «أحصنة طرواده» العميلة هذه . وخلال ثلاثة أيام أعقبت دخول القوات الغازية الى البقاع ـ قبل اندلاع القتال ـ كان المقاتلون الفلسطينيون واللبنانيون يكتسحون مكاتب « الصاعقة » ـ واتحاد قوى الشعب العامل ـ (والجماهير تزدري هؤلاء بتسمية شاكيم) نسبة الى العميلين شاتيلا وواكيم ، في حين بدا هؤلاء ، وخاصة الصاعقة التي كانت قد « وزعت » الوف القطع من السلاح أشبه بـ « مارد » تحول الى فأر مطارد في خلال بضع ساعات .

وكانت الاستفزازات التي قامت بها قوات « الصاعقة » ، مجددا ، المؤشر للانتفاضة الجماهيرية التي عمت كل مناطق لبنان الوطنية. ففي يوم ٥ حزيران احتل مقاتلون وطنيون مكتب

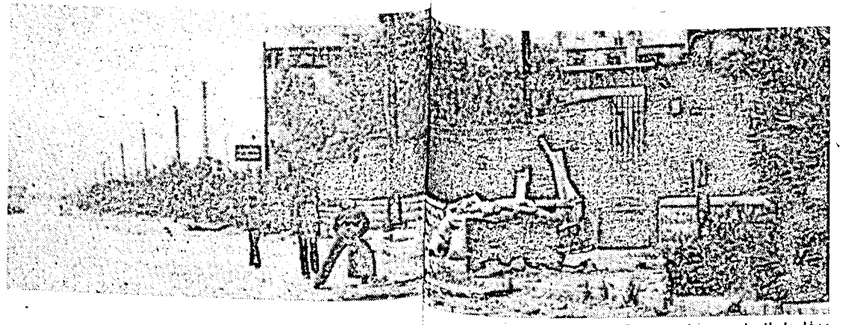

مدخل دار المعلمين بعد انسحاب القوات السورية منها

المواطنون يتحولون إلى .. وبيروت مدينة

من سلاحهم . وفي اليوم التالي سقط مكتب الصاعقة في برج البراجنة واستسلم مسؤول المكتب و ١٢ عنصرا، وصودرت أسلحتهم الخفيفة والثقيلة . وألقي القبض على مجموعات من الصاعقة كانت تقوم بسرقة بعض المحلات في سوق الصاغة . وفي الوقت نفسه كانت مكاتب الصاعقة في البسطة والنويري ورأس النبع تتعرض للمداهمة ، حيث امتنع أعضاء التنظيم عن المقاومة وسلموا أسلحتهم وأعلنوا انضمامهم للقوات الوطنية وقوات الثورة الفلسطينية .

واستمرت عمليات « التكنيس » ليلة السبت ونهار الاحد لتشمل مكاتب « شاكيم » والصاعقة في بئر العبد (حيث صودرت كميات ضخمة من المؤن والادوية والمفروشات المسروقة !) وفي برج أبو حيدر ، ورأس بيروت ، شارع الصيداني وتلة الخياط ، والزيدانية ، والمصيطبة ، ومار الياس ، ووطى المصيطبة ، وكورنيش المزرعة وفي مخيمي صبرا وشاتيلا .

في هذه الاثناء كانت عمليات مشابهة تجري في طرابلس ـ الصامدة بين حصار الاشقاء وحصار قوات فرنجية ـ والجنوب . وكانت ترافقها عمليات انهيار طوعي من جانب قسم كبير من أعضاء هذه المنظمات الى صفوف أخوانهم في الجانب الوطني . وربما كان أبلغ البيانات تعبيرا البيان الصادر عن قيادة الصاعقة في مخيم تل الزعتر منذ بضعة أشهر ، والذي عبر عن انحياز أعضاء تلك المنظمة الى جانب المناضلين ضد النظام السوري .

لقد كانت معركة تطهير الطابور الخامس من المناطق الوطنية أسهل المعارك التي خاضتها الجماهير الوطنية . ولكن السبب لم يكن صغر حجم الخصم . بالعكس كانت هذه المنظمات العميلة تضم بضعة الوف من المسلحين وتملك عشرات الالوف من قطع السلاح وأطنان من الصواريخ الثقيلة (غراد ـ وكاتيوشا ، و ٧٥ و ١٠٦ ملم) ، وكان لديها عشرات المكاتب الموزعة في أنحاء لبنان . لكن الامر الحاسم كان الانهيار

صيادين للدبابات نظيفة من الصاعقة"

ثم الطبيعة «الارتزاقية» لاعضاء هذه التنظيمات التي ظلت حتى من « المضللين » (الا فيما ندر) الذين يؤمنون بصوابية موقفهم .

أسفر تطهير الصاعقة وحلفائها من المناطق الوطنية عن عدة نتائج . فقد قطع الطريق على تعاون هؤلاء مع القوات الغازية المتواجدة على مشارف بيروت . وغنمت المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية بفضل المداهمات مقادير لا تصدق من السلاح والذخائر وقذائف المدفعية والصواريخ. ثم ان مصير هؤلاء العملاء ، واستسلام قياداتهم دفع السياسيين المتواطئين مع الغزو الى الانزواء والاختفاء خوفا من نقمة الشعب .

وتساءل الناس مثلا عن مكان «اختفاء» موسى الصدر الذي كان قبل أسبوع فحسب يندر ويتوعد ويصنف الشهداء الى « دماء مؤمنة » «ودماء غير مؤمنة » .

وبعد : ألا تشكل انتفاضة الجماهير، في بيروت والمناطق ، ضد مكاتب العملاء نموذجا قد يقتديه، بعد وقت ، شعب دمشق وحلب وحمص و ... ؟

بيروت تصمد وتتحدى

عندما بدأ زحف قوات النظام السوري لضرب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، عقدت كل فصائل المقاومة الفلسطينية اجتماعا يوم ٤ حزيران وقررت تشكيل قيادة عسكرية مركزية تضم ممثلين عن الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية اللبنانية وجيش لبنان العربي وتشكيل قيادات موحدة لجميع المناطق اللبنانية تضم القوى المتحالفة الثلاث وترتبط بالقيادة العسكرية المركزية .

وبدأت قوات الغزو استفزازاتها العسكرية في السادس من حزيران عندما داهمت بعض مساء اليوم نفسه قامت قوات الغزو السوري المتواجدة في منطقة خلده باغلاق الطريق الى بيروت .

وتكشف فيما بعد أن مخطط نظام حافظ الاسد هو فرض حصار كامل على بيروت يشمل منع المواد الغذائية من الوصول اليها ، والقاء اكياس الطحين في البحر حتى لا يصل الى احياء بيروت الوطنية التي تعاني فيها الجماهير من عدم وجود رغيف الخبز . وحاولت القوات الغازية التي كثفت وجودها في منطقة مطار بيروت مساندة عملائها من « الصاعقة » أثناء عمليات تطهير المدينة من هؤلاء العملاء . ولكن الانهيار السريع لفلول العملاء دفع بالقوات السورية ، في مثلث خلده ومكتب البريد المركزي في بير حسن ودار المعلمين وفي عرمون الى قصف مركز بالصواريخ ومدافع الهاون عيار ١٦٠ ملم لمنطقة صبرا وشاتيلا والفاكهاني والمدينة الرياضية وكورنيش المزرعة والملعب البلدي والشياح وبرج البراجنة وحارة حريك والطريق الجديدة ومحلة أبو شاكر ومستشفى البربير والمقاصد .. مما أدى الى استشهاد واصابة عدد كبير من المدنيين .

وترافق قصف قوات الغزو السورية لمنطقة الشياح مع محاولة اقتحام القوات الانعزالية لمنطقة الطيونة في أطراف الشياح .

لقد عجزت قوات الانعزاليين التي تستخدم الاسلحة الاميركية والاسرائيلية عن ضرب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية طوال اربعة عشر شهرا .

ومن هنا ، لجأ النظام السوري الى نفس الاسلوب الذي استخدمته اسرائيل من قبل .. ولكن بكثافة أكبر، وهو اسلوب استخدام الطيران لقصف المواقع الفلسطينية والوطنية اللبنانية والاحياء الشعبية التي يسكن فيها فقراء بيروت والذين اعتبرهم حافظ الاسد « مجرمين » لسبب واحد هو تجاسرهم على الدفاع عن الثورة الفلسطينية وحمايتها .

فقد قصفت الطائرات التابعة للنظام السوري ـ من طراز ميغ ١٧ ـ بالصواريخ كلا من المنطقة الغربية والنبعة والشياح ومخيمات تل الزعتر وجسر الباشا .

ولوحظ ، للمرة الاولى منذ بدء المعارك في لبنان، ان انواع الاسلحة التي استخدمت ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والجماهير الشعبية كانت من أشد الاسلحة فتكا وتدميرا ومن أحدث الانواع مثل راجمات الصواريخ عيار ١٠٧ التي تطلق ١٢ صاروخا دفعة واحدة .

كما لوحظ أيضا ان القوات الانعزالية بدأت في استخدام أنواع مماثلة من الصواريخ الحديثة!

وردت وحدات جيش التحرير الفلسطيني ـ المتواجدة في منطقة الطريق الجديدة ـ على هذا العدوان الهمجي الذي قام به النظام السوري .. والحركة الوطنية اللبنانية ومباشرة اتخاذ مواقعها الى جانب رفاق السلاح . وقامت هذه الوحدات التابعة لجيش التحرير الفلسطيني بتسليم الخائن مصباح البديري الى قوات الثورة مطالبة باعدامه، ومن جهة أخرى ، انضمت كتيبة الصاعقة ٤٢٢ من قوات القادسية الى صفوف القوات المشتركة .

وهاجمت قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .. القوات السورية ، التي كانت تحتل مثلث مبنى البريد ودار المعلمين والسفارة الكويتية ، وتمكنت من تحرير مبنى السفارة الكويتية ـ حيث كانت توجد بعض قواعد الصواريخ السورية ـ ودار المعلمين .

واستسلمت قوات الغزو التي كانت تتمركز في دار المعلمات ، ورفعت الاعلام البيضاء .

ورغم تحرير هذه المواقع ، فقد أدت بعض المداخلات المشبوهة الى الابقاء على قوات الغزو المهزومة في أماكنها وتمييع قضية استسلامها الكامل .

وعندما اضطرت قوات الغزو الى الهروب من مبنى مستشفى بيروت في المنطقة ذاتها ، اصطحبت معها بالقوة جميع الاطباء والممرضين والممرضات لكي يتفرغوا لمعالجة المصابين في صفوفهم من ناحية ، ولمنعهم من القيام بواجبهم الانساني تجاه العناصر الوطنية من ناحية أخرى .

ولم تتخلف القوى الانعزالية عن القيام بدورها المرسوم لها من قبل النظام السوري فأشعلت الجبهات التقليدية في بيروت والضواحي مثل جبهة المرفأ وساحة الشهداء وباب ادريس والشياح والليلكي والنبعة .

فقد تعرضت هذه المناطق ، كما ذكرنا ، الى قصف عنيف ومحاولات تسلل فاشلة في ذروة الهجمات التي كانت تشنها قوات الغزو .

ورغم كل هذه الاعتداءات الوحشية من البر والجو ، والتهديد بالعدوان من البحر ـ كانت توجد لدى قوات الغزو خطط باستخدام الزوارق الحربية ـ .

ورغم الحصار التمويني وقطع المياه والكهرباء عن بيروت .. فان المدينة الصامدة ـ التي تتعرض بعض مناطقها مثل تل الزعتر والنبعة لحصار منذ أكثر من ٨ أشهر ـ لم تركع بل ازدادت قدرة على التصدي والمواجهة والاستبسال.

قالت المواطنة السيدة فاطمة عصام الحسيني ـ من منطقة الفاكهاني : « لن ننسى أفعال النظام السوري ولا أفعال الصاعقة . لقد نسي النظام السوري كيف اننا ارسلنا في تشرين الذهب والاموال . أعطيناهم حتى اقساط المدارس لنساهم في صمود سوريا أثناء حرب تشرين . لكننا صامدون حتى النفس الاخير والطفل الاخير وقطرة الماء الاخيرة » .